

مجلة الجامعة الإسلاميّة للغة العربيّة وآدابها

مجلة علميّة دوريّة محكمة

الجزء ١

العدد :١٩
يناير - مارس ٢٠٢٦م

مجلة الجامعة الإسلاميّة للغة العربيّة وآدابها
الجزء ١


١٣٨
١٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية
د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية
أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية
د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا
أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة بمصر
أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض بالمغرب

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية
أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر
أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. عياد بن عيد الثبيتي
أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى
أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود
أ.د. منصور بن محمد الغامدي
أستاذ الصوتيات الحاسوبية بهيئة تقويم التعليم والتدريب
أ.د. عبد الفتاح محمد حبيب
أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية الزقازيق بجامعة الأزهر
أ.د. حسن دربر
أستاذ الترجمة وعلم المصطلح بجامعة القاضي عياض بالمغرب
أ.د. عزالدين محمد المجدوب
أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية
أ.د. محمد بن صالح الشنقيطي
أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة جدارة بالأردن
أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد بجامعة تونس

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	الحُكمُ الصرفيّ الحَسَن عند سيبويه بين القبول والرفض دراسة وصفية إحصائية **د. جمال محمد سعيد حمد**	٩
٢)	بين العكبريّ وابن هشام في إعراب القرآن دراسة في حواشي ابن هشام على التبيان **د. سلطانة بنت محمد بن مشبب آل صالح الشهراني**	٨٣
٣)	التعدية للمفعول ومعناه لشهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجي دراسة وتحقيقًا **د. طارق بن هندي بن عطية الله الصاعدي**	١٤٥
٤)	الاستحالة في التَّراكيب عند عبد القاهر الجرجانِيّ في كتابه (دلائل الإعجاز) دراسة لغويَّة في المفهوم والسِّمات والأسباب **د. عبد الله بن محمَّد عليّ بن جويبر الصُّليميّ**	١٩٣
٥)	بنية الأمثال في مقدمة معجم الأدباء دراسة تحليلية لأثر المثل في أدب ياقوت الحموي **د. مريم محمد الأمين حسن الشنقيطي**	٢٤٩

م	البحث	الصفحة
٦)	شرف الدين يحيى الأصيلي المصري (ت١٠١٠ هـ) حياته وما تبقى من شعره –جمع وتحقيق ودراسة **د. ازاد محمد كريم الباجلاني**	٣١١
٧)	التناظر في قصة يوسف – عليه السلام– عند المستشرقين دراسة مستنصر مير وجراي رِيندسبورج أنموذجًا **د. منال بنت صالح الصاعدي**	٣٩٥
٨)	مظاهر التشظي في ديوان "بلقع" لهند النزاري دراسة سيميائية **د. خالد بن ناصر الجميحي القحطاني**	٤٣١
٩)	الاستفهام في ديوان بين الزحام لعلي رديش دراسة تداولية **د. حافظ بن محمد عريشي**	٤٩٣
١٠)	فاعلية برنامج قائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى **د. رابح بن عبد الله بن عباس العوفي**	٥٣٥

الاستفهام في ديوان "بين الزحام" لعلي رديش
دراسة تداولية

Interrogation in the Poetry Collection "Bayna al-Ziham" by Poet Ali Raddish
A Pragmatic Study

د. حافظ بن محمد عريشي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

البريد الالكتروني: h.alareshi87@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
03/09/2025		06/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-009		

المستخلص

يأتي هذا البحث في إطار الاهتمام بالسياقات اللغوية من خلال استنطاق ظاهرة الاستفهام في ديوان "بين الزحام" للشاعر: علي رديش دغريري تداولياً. حيث وظف الشاعر الاستفهام لمعانٍ مختلفة في سياقات متعددة، وهو ما أثار البحث عن المعاني خارج الألفاظ في تلكم السياقات. ويأتي المنهج التداولي لبيان تنوع المعاني التي جاءت بأسلوب الاستفهام، فقد حضر بدلالة الذاتية، والتأثيرية، وأخرى حجاجية، وحوارية – أيضاً – مما استدعى النظر إلى هذه الدلالات تداولياً وفق مباحث الإشاريات، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والحجاج. وقد نتج عن هذه الدراسة عدة نتائج منها: كون الاستفهام في الديوان لازماً أسلوباً بما يمكن القول معه إنه الأقرب للشاعر، والأجدر للتعبير عن معانيه، اتجه الاستفهام لغير دلالته الحقيقية إذا تبنى الشاعر المعنى الناتج عن جواب الاستفهام، أشار التعبير المكثف في الديوان للاستفهام عن الكفاءة التعبيرية التي وجدها الشاعر فيه.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الاستفهام، الإشاريات، أفعال الكلام، الحجاج.

Abstract

This study falls within the broader interest in linguistic contexts through a pragmatic examination of the phenomenon of interrogation in the poetry collection "Baina al-Zihām" by the poet Ali Radish Daghreeri. The poet employed interrogatives for various meanings across multiple contexts, which prompted an exploration of meanings that extend beyond the mere words within those contexts. The pragmatic approach demonstrates the diversity of meanings presented by the interrogative style. It was present with subjective, affective, argumentative, and dialogical connotations, which necessitated examining these connotations pragmatically according to the topics of deictics, speech acts, dialogical implication, and argumentation. This study attained several findings, among which is that interrogation in the collection functions as a consistent stylistic feature—one that may be considered closest to the poet's voice and most capable of expressing his meanings. The interrogative often departs from its literal function when the poet adopts the implied meaning in the response to the question. The dense use of interrogatives throughout the collection further indicates the expressive efficiency the poet found in this device.

Keywords: pragmatics, interrogation, deictics, speech acts, argumentation.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تتنوع الدلالات بتعدد المعاني بما لا ينحصر عند حدود الألفاظ، حيث تشكل السياقات إحدى مكونات المعنى، ويمثل الاستفهام واحداً من أهم التعابير اللغوية التي لا تحمل دلالتها الأصلية فحسب، وإنما تحيل إلى معان متعددة حسب سياقها ومقاصد المتكلمين، لذا جاءت هذه الدراسة للبحث عن المعاني خارج دلالات الألفاظ.

تحضر أهمية هذه الدراسة في الاهتمام بدراسة الأدباء المغمورين، ومحاولة إبراز أعمالهم الأدبية إلى ميادين الدراسات النقدية، وإظهار محاولاتهم الأدبية بالكشف عن خصوصية تجاربهم الشعرية، ويتمثل ذلك في الاهتمام بدراسة السياق الذي يعد أحد أهم مؤثرات المعنى بالبحث عنه خارج دلالة اللفظ، وانحصرت في الاستفهام في ديوان "بين الزحام" لحضوره البارز، مما أثار تساؤلات البحث، وهو ما أثرى هذه الدراسة لبيان أهميته في تعدد المعاني وتنوعها.

إن الكشف عن شعر أحد الشعراء السعوديين المغمورين هو أحد أهداف الدراسة، ثم ينحصر داخله الهدف الثاني في بيان أشكال التعابير اللغوية المتمثلة في الاستفهام، وأثرها في التعبير عن المعاني المختلفة، فقد زخر الديوان بتوظيف الاستفهام حيث تجاوز وروده (١٠٣) موضعاً، وهذا الكم يكشف خصوصيته الأسلوبية والمعنوية، فقد شكل أسلوباً لغويًا بارزًا في الديوان، بما يؤكد اتكاء الشاعر عليه في التعبير عن معانيه، مما يجعل الإبانة عن أشكال ذلك التوظيف هدفاً وسببًا مباشرًا للدراسة.

اتخذت الدراسة التداولية منهجاً بحثياً للإجابة عن تساؤلات البحث، حيث كان السؤال الأبرز عن سبب بروز الاستفهام في الديوان، وماهي الدلالات التي يمكن أن

يحملها، وللإجابة عنها فإن التداولية هي المنهج الأجدر بذلك، إذ تهتم بدلالات السياق وتعدد المعاني، فيمكن للمتلفظ وفقاً لها أن يعبر عن أي معنى بأي لفظ [١]، وعليه ستتيح التداولية الكشف عن كل معنى عبر عنه الشاعر من خلال الاستفهام، وهو ما اقتضته طبيعة البحث.

يعد الشاعر علي رديش دغريري أحد الشعراء المغمورين الذين لم يأخذوا نصيبهم من الدراسات التي تكشف عن إبداعهم، لذا لم يعثر الباحث على مزيد من الدراسات في أدب الشاعر، وكل ما عثر عليه دراستان، إحداهما بعنوان: شعر علي رديش دغريري دراسة أسلوبية، للباحثة: صالحة بنت علي صهلولي، من منشورات نادي جازان الأدبي عام١٤٤٤هـ، واهتمت بدراسة الأسلوب اللغوي في نتاج الشاعر فعرضت للانزياح اللغوي، والحقول الدلالية، والتناص، والرمز، كما تعرضت للبنية الإيقاعية متمثلة في الوزن والقافية، والإيقاع الداخلي، والتلاؤم الصوتي، ولم تتطرق للمعنى، أو ما يتصل بدلالات الألفاظ، فضلاً عن المعنى المعبر عنه بالاستفهام، وهو ما تبحث عنه هذه الدراسة.

أما الدراسة الثانية فكانت بعنوان: التوازي في ديوان "بين الزحام" للشاعر علي رديش دغريري، المجلة العلمية بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد٤٤، الإصدار٣، عام ١٤٤٧هـ، وهي دراسة انصبت على ظاهرة التوازي وأثرها الجمالي والمعنوي، وقد أبانت عن خصائص هذه الظاهرة، وأشكال استخدامها بإظهار العلاقة بين الظاهرة والمعنى، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي، وبهذا تختلف عن هذه الدراسة، فالسؤال البحثي الذي انطلق منه لا يتقاطع مع أي جزء منها، حيث اقتضى أهدافًا مختلفة، ومنهجًا مغايرًا، وهو ما أظهر نتائج مختلفة في الدراستين.

اقتضت أهداف الدراسة أن تشمل خطة البحث: مقدمة، وتمهيداً يحتوي نبذة

(١) أحمد الودرني، نظرية المعنى (ط١، تونس، مركز النشر الجامعي ٢٠٠٧م) ص ٨١.

عن الشاعر، وأخرى عن التداولية، وأربعة مباحث هي:

المبحث الأول: المعنى الإشاري في الاستفهام.

المبحث الثاني: المعنى الإنجازي في الاستفهام

المبحث الثالث: الاستلزام الحواري في الاستفهام.

المبحث الرابع: المعنى الحجاجي في الاستفهام.

الخاتمة: عرض النتائج.

التمهيد:

أولاً: الشاعر: على رديش دغريري

ولد الشاعر علي رديش دغريري في قرية الدغارير بمحافظة صامطة عام ١٣٨٠هـ، تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط في مدرستي أحد المسارحة وحاكمة الدغارير، ثم الثانوية بالمعهد العلمي في محافظة صامطة عام ١٤٠٠هـ، منهياً مرحلة تعليمه بالحصول على درجة البكالوريوس في تخصص اللغة العربية وآدابها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع أبها عام ١٤٠٤هـ.

عمل معلماً للغة العربية بوزارة التعليم، وأُوفد للتدريس في نيجيريا لمدة أربع سنوات، نشر أعماله في عدد من الصحف والمجلات، وشارك في أمسيات شعرية متعددة، كما عمل عضواً في نادي جازان الأدبي، ونادي أبها الأدبي، وتوج نشاطه الأدبي بإصدار ديوانين شعريين، الأول: ديوان "بين الزحام"، الذي صدر عن النادي الأدبي في جازان عام ١٤٣٠هـ، وقد حوى خمساً وعشرين قصيدة، ثم ديوانه: أمس. وصدر عن نادي جازان الأدبي – أيضاً – عام ١٤٣٨هـ، واشتمل على تسع عشرة قصيدة.

خاض الشاعر علي رديش دغريري تجربة متأنية في كتابة الشعر، ويرجع ذلك إلى ولعه بالشعر والكلمة الشعرية، فقد عاش بداياته متتبعاً ومتذوقاً للشعر دون أن ينظم قصيدة واحدة حتى جاوز سن الثلاثين، حيث كتب أول قصيدة له في العام ١٤١٢هـ، وهي إشارة إلى أنه أدرك أهمية الكتابة الشعرية منذ بداياته، وأنه ينبغي ألا يكتب إلا ما هو جدير بالكتابة، ويفسر هذا قلة نتاجه الأدبي – رغم تفوقه – فلم يصدر له سوى ديوانيين فقط.

تميز شعر علي رديش دغريري بتجربة خاصة، فالمتتبع لشعره في ديوانيه يجده كتب الشعر بتجربتين مختلفتين، فديوان "بين الزحام" انطلق من النظرة التقليدية في البناء الشعري، وهو التجربة الأولى للشاعر، ويلحظ فيه القارئ اللغة الأدبية المستوحاة من

البنية التقليدية للشعر، فهو زاخر بلغة شاعرية زاوجت بين وضوح اللفظة وعمق المعنى، وذلك ما يمكن إدراكه جلياً في قصائد الديوان جميعها، فقد اختفت من اللغة الشعرية أساليب الرمز، والتناص، مع ظهور الأسلوب الحواري في عدد من القصائد، وهو ما يؤكد التأثير التقليدي في هذه التجربة الشعرية.

أما ديوانه (أمس) فقد كشف عن تجربة شعرية مختلفة، حيث أبانت قصائد الديوان عن الاتجاه الحديث في كتابة القصيدة، فظهرت فيه متأثرة بالتناص، والرمز، والمفارقة، وهذا الاختلاف في نهج القصيدة عند علي رديش يكشف عن شاعريته المتطورة بين أشكال الكتابة، كما يؤكد ولعه بالتجديد، وإغناء التجربة الشعرية، ويدل على تعلقه بالشعر، فلم يكن شعره خواطر تراوده فحسب، بل هو لغة عالية تغنيها التجربة ويلهمها الخيال، وعلى ذلك جاء شعره كاشفاً لتجربة خاصة تستحق الدراسة[1].

ثانياً: النظرية التداولية

قدم جون أوستن محاضرة بجامعة هارفارد عن مفهوم "أفعال الكلام" في عام ١٩٥٥م، وفرق بين ثلاثة أنواع من الأفعال: العمل القولي، والعمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول، ثم قام بعد ذلك جون سيرل وبول جرايس على تطوير هذه الأنواع، مما ساهم في تأسيس التداولية كحقل دراسي مستقل يهتم بكيفية توصيل المعاني وفهمها في التواصل اللغوي.

تبحث التداولية عن كيفية تمثيل الكلمات للأشياء. وما الفرق بين دالة من

(١) لم تتوفر ترجمات كافية للشاعر، وكانت هذه النبذة نقلاً عن دراسة بعنوان: شعر علي رديش دغريري (دراسة أسلوبية)، صالحة صهلولي، (ط١، السعودية، مطبوعات نادي جازان الأدبي١٤٤٤هـ) ومن النبذة التعريفية في مقدمة الديوان.

الكلمات وأخرى غير دالة؟ وماذا يعني أن يكون شيء ما صادقاً أو كاذباً؟[١]، حيث يظهر اهتمامها في البحث عن المعنى غير المشار إليه باللفظ، فهي نظرية تدرس اللغة في مقام التواصل، وتهتم بدراسة سياق إنتاج الخطاب، والظروف المصاحبة له.

تدرس التداولية استخدام اللغة في السياقات المختلفة لفهم المعاني المقصودة بين المتكلمين، وهذا ما استلزم الاهتمام بعوامل إنتاج المعنى بالنظر في علاقات النص الواقعة في العلاقة بين النص ومنتجه من جهة، وبين النص ومتلقيه من جهة أخرى، مع مراعاة العناصر المقامية المؤثرة في هذه العلاقات، فكانت أعمال أوستين (أفعال الكلام) هي المهاد الأول لنشأة التداولية، إذ يمكن من خلالها التأثير في القيام بعمل ما لا بالتلفظ به وإنما باستلزامه منه.

تشير أفعال الكلام إلى الصيغ الإنشائية ذات القوى الفعلية، فعلى اقتراح أوستين يمكن التفريق بين ثلاثة أعمال لغوية متعقلة بها هي: العمل القولي، والعمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول، فقول" أعدك بالمجيء" يخبر المتكلم السامع بالمجيء، أما القيام بفعل المجيء فهو عمل متضمن في الوعد، أما التأكيد الحاصل في الوعد من طمأنة المخاطب فهو من قبيل التأثير بالقول[٢]، وهو معنى غير متلفظ به، غير أنه مقصود في المقام الأول من التلفظ بالوعد، بخلاف الجمل الوصيفة التي تبدو متجردة من قوتها التأثيرية.

تهتم التداولية بالمعنى المقصود لا المتلفظ به، وهي المقاصد الخفية للمتكلم التي يجب على السامع إدراكها، في حين أن على المتلفظ مراعاة ظروف المتلقي والتعاون

(١) انظر: أوستين، نظرية الأفعال الكلامية (كيف ننجز الأشياء بالكلام) ترجمة: عبدالقادر قنيني، (د/ط المغرب، دار إفريقيا الشرق١٩٩١م) ص١٨.

(٢) انظر: جيوفري ليتش، مبادئ التداولية ترجمة: عبدالقادر قنيني (ط١، المغرب، دار إفريقيا الشرق، ٢٠١٣م) ص٢٦٠

معه وفقاً لظروف السياق؛ للتوصل إلى المعنى المقصود، ويمكن القول تأسيساً: إن المعنى يولد لحظة التلفظ بحسب التصور التداولي، ولا تنتجه الألفاظ بشكل محدد، وعليه فإن أي لفظ يمكن أن يحيل على أي دلالة شريطة حضور عنصر القصدية(١).

إن التصور الذي تتبناه التداولية في البحث عن المعنى ينصب إلى القصدية لا الدلالة، وفي سبيل هذا الهدف يقع الاهتمام على التلفظ لا على اللفظ ذاته، وهو ما يقع السياق ومقاماته لتأويله وصولاً للمعنى، ومن هذا التصور تفرعت دراسات التداولية سائرة نحو القصد وما يمكن إحداثه في المتلقي بما يريده المتكلم لا بما تشير إليه الألفاظ، فاقتضى ذلك عديداً من المباحث والمبادئ التي تندرج تحت التأثير على قصدية المتكلم، كالاستلزام الحواري، والملاءمة، والحجاج، والإشاريات، فمن شأن تلك أن تُعين على التعرف على القصد دون حصره في اللفظ.

(١) انظر: الودرني، نظرية المعنى، ص٨١.

المبحث الأول: المعنى الإشاري[١] في الاستفهام

ترتبط الإشاريات بالسياق ارتباطاً مباشراً، فليس بمقدرتها منفردة الإحالة إلى معنى محدد، ولا يمكن تحديد إحالاتها إلا بسياق يعيّن مدلولها، لذا فإن إحالتها للمعنى إحالة غير تلازمية، وإنما هي مقامية[٢]، وهي تخالف بذلك الدوال اللغوية الأخرى التي تحيل إلى مدلولاتها المجردة، كما في لفظ (شجرة) في إحالتها على ذات النبات المعروف.

يخرج أسلوب الاستفهام كثيراً عن دلالته الأصلية، وتأتي الدلالة الإشارية واحدة من أهم الدلالات التي يفيدها الاستفهام، فيحيل المعنى إلى ذات معينة، أو زمان محدد، أو مكان معلوم؛ لأنه يرتبط حينها بالسياق وبمقاصد المتلفظ أكثر من ارتباطه بالألفاظ، وهو ما يجعل التفسير التداولي ناجعاً في الوصول إلى المعنى.

حضر أسلوب الاستفهام مكثفاً في ديوان "بين الزحام" لافتاً النظر إلى اتكاء الشاعر عليه إلى الحد الذي يمكن القول معه إنه الأسلوب الأبرز في التعبير عن المعاني المتعددة، ويؤكد هذا خروج دلالته عن المعنى الأصلي له، فلا يمكن حضوره إلى ذلك الحد بدلالة الاستفهام فقط، ويأتي هنا السياق لتحديد دلالته بمعونة المبادئ التداولية.

تعد الإشاريات إحدى المبادئ التداولية التي تشير إلى ملفوظ ذاتي غير منفصل عن التلفظ وسياقه[٣]، وعلى أنها لا تؤدى معنى في ذاتها فهي في الوقت ذاته لا يمكن أن يخلو منها خطاب ما، فهي تحدد علاقة النص بمنتجه، وبالتلفظ، وزمانه، ومكانه،

(١) يطلق مفهوم الإشاريات على التعبيرات اللغوية التي تتوخى التعيين المتعلق بالأشخاص والأماكن والأزمنة بناء على سياق الكلام، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: شخصية، ومكانية، وزمانية. جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها (ط١، الأردن، دار كنوز المعرفة ٢٠١٦م) ص٧٨

(٢) انظر: بندر السلمي، "الإشارات الأنواع والمفهوم، والوظائف". *حولية كلية اللغة العربية بجرجا* (م٢٢)، ع١٣، (٢٠٢١م) (١٣٦٧٥- ١٣٧٠٧).

(٣) انظر: ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص٧٦.

وهذا ما يسعى البحث هنا إلى الإبانة عنه في أسلوب الاستفهام في الديوان.

ارتبط الاستفهام في ديوان "بين الزحام" بدلالة الإشارية في مواطن مختلفة بين شخصية، وزمانية، ومكانية، وهو ما يظهر في الشواهد الآتية حيث يقول:

أنا ما سواكِ؟

مشاعري اقتحمت مدائنها سواك

إذا كنت من زمنٍ

أُحيط القلب أسواراً سماك

حتى انتهكت حماه، وخلواته

فلذّ الانتهاك

أتراك كيف؟(١)

جاء الاستفهام في بداية هذا الشاهد، وهو ما يضع القارئ بين احتمال دلالته حقيقة، وبين غرض آخر، إلا إن البيت الثاني نفى الدلالة الحقيقية حيث كشف الشاعر عن مشاعره التي بدأها بالسؤال، مؤكداً بذلك أنه يريد تقرير معنى آخر، موجهاً البحث إلى صيغته ومعناه.

يحمل الاستفهام الأول أسلوبين إشاريين الأول: الضمير (أنا)، والثاني: كاف المخاطبة، حيث يشير إلى ذات متلفظة، وأخرى مخاطبة، جاعلاً منهما قضية خاصة، وبهذا ينحو السؤال منحى إشارياً تحضر فيه الذاتان الآنفتان حضوراً منفرداً متلبسة بدلالات متفردة لا يبحث عنها الاستفهام بدلالته الحقيقية، لذا فإن الملفوظ الإشاري المتعلق بالشخصية ربط معنى الاستفهام بتلك الذاوات المشار إليها دون أي موضوع آخر.

انطلق الشاعر من ذاته متجهاً إلى المخاطب في الكشف عن حقيقة خاصة

(١) علي رديش دغريري، بين الزحام (ط١، السعودية نادي جازان الأدبي، ١٤٤٠هـ)، ص٢٣.

لا يعرفها غيره، وهذا ما ينفي حقيقة الاستفهام إذ لا يمكن أن يسأل عن شيء لا يعرفه أحد سواه، لذا فإن الموضوع الذي يحمله هذا الاستفهام هو ذاتي ويحيل إلى معنى خاص.

يشير ضمير المتكلم إلى خطابه الخاص، ويرتبط مع ضمير المخاطب في حمل المعنى من الاستفهام إلى المعنى الإشاري الشخصي، وينتقل بذلك المقصد إلى ذات المتلفظ وذات المخاطب لبيان العلاقة بينهما التي تتمثل في سيطرة مشاعر عشق المخاطب على المتلفظ، وهي مشاعر سلبية عبر عنها بألفاظ الاقتحام، والانتهاك، والإحاطة، وكلها تدل على التسلط والسيطرة، وهي بذلك غير متوافقة مع أفق توقع القارئ للسؤال، وهو ما يحمل المعنى الإشاري فيه الذي يؤكد حضور الذات المتلفظة أكثر من حقيقة التساؤل.

يختم الشاعر المقطع بسؤال إشاري شخصي يتوجه فيه للمخاطب مؤكداً به المعنى الإشاري في الاستفهام، وجاعلاً الذات المخاطبة قوة فوقية، وواضعاً ذاته المتلفظة في منطقة تحتية لا تملك إرادتها في مواجهة القوة الفوقية، وحيث جاء هذا الاستفهام بعد تقرير هذه المعاني مسبقاً، فإنه يُخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معناه التعجبي، وهو تعجب من ذات مشار إليها في السؤال، ومن هنا فإن المعنى الإشاري هو المحتوى القضوي في هذا السؤال أكثر من الاستفهام.

أثار ضمير المخاطب (الكاف) انتباه القارئ إلى وجود المعنى خارج النص، فإيقاع الضمير أدى إلى توجهه للبحث عنه، وهو ما يمكن القول معه بأن الإيقاع تضافر مع السياق في التأكيد على أن الاستفهام قد خرج عن حقيقته إلى الذات التي احتضنت المعنى، وهي الكفيلة بالإجابة عنه.

تعددت الإشاريات في الديوان بشكل بارز فإن كان الحديث عن الإشاريات

الشخصية[1] فإن الإشاريات الزمانية هي إحدى المعاني الحاضرة في الاستفهام التي شكل فيها زمن التلفظ محتوى قضويًا ذا أهمية بارزة في بناء المعنى، وهو ما يفصح عنه قول الشاعر:

أماه أين الذي

واعدتِنِيه ضحى

يوم؟ وذات صفاء بيننا جمعا.[2]

يشير هذا المقطع إلى تفجع الشاعر على أمه التي أخذها الموت منه، حيث يشير إلى عدم استعداده لهذا الرحيل، ويأتي الاستفهام الإنكاري لبيان ذلك، وأن هذا الرحيل ليس هو الشيء المنتظر، وإنما كان يأمل بقاءها معه، وهو الشيء الذي منته به في أحاديثها معه.

تنتفي حقيقة الاستفهام بانتفاء الإجابة من جانبين: أنه موجه لأمه المتوفية، وأنه يبحث عن معلوم، فما ما واعدته به أمه يعرفه أكثر من غيره، وهذا السياق وجه السؤال وجهة معنوية أخرى، وهذه الوجهة ناتجة عن قضية تلفظية تحيل القارئ إلى معنى تلفظي.

يحمل الاستفهام ملفوظات زمنية تحيل إلى زمن الوعد المستفهم عنه، وترتبط بزمن التلفظ الذي يضع المعنى في سياق زمني محدد، إذ ينقل القارئ من زمن النص إلى زمن سابق فيضعه بين زمنين: زمن السؤال، وزمن المسؤول عنه، وهو ما يكشف له تراتبية الأحداث التي يبني عليها المعنى الذي يقرره الاستفهام.

يقرر الشاعر في لحظة التلفظ أن المعنى الذي يبحث عنه في زمن سابق هو ضحى اليوم الذي واعدته فيه أمه، وهنا تأتي الإشارية الزمنية التي تضع السؤال في سياقه الزمني،

(١) حصر الباحث أحد عشر موطناً في الإشاريات الشخصية، ولضيق المقام اكتفى بنماذج محددة لبيان ذلك.

(٢) دغريري، بين الزحام، ص٧٧

فلم يكن يبحث عن ماهية الوعد، وإنما يتذكر زمنه، لذا فهو يحدده بوقت معين في اليوم وهو الضحى، وهو الوقت الذي تكون فيه النفس أكثر ارتياحاً، وأوسع انشراحاً، وأحاديثه أشد وضوحاً، وأصفى نقاءً، لذا فإن تحديد زمنية الوعد هي تجلية للمعنى من ناحية زمنية.

أسهم اللفظ الإشاري الزمني في بناء المعنى في هذا الاستفهام، فما أراد الشاعر قوله لم يكن ليتحقق بعيداً عن الإشارة الزمنية وتحديد وقتها، فالوعد الذي آلمه تذكره في لحظة التلفظ لن يحقق قيمته المعنوية إذا لم يرتبط بزمن ووقت وقوعه، فقد أضفت تلك الزمنية على المعنى ثيمة الحزن، كما أحاطته بحنان عاطفي لما يقع في مثل أحاديث ذلك الوقت، لذا فإنه يمكن القول بأن حمولة الزمن في هذا الاستفهام هي الأبرز في بناء المعنى.

وفي الجانب الآخر فإن البنية اللغوية المتمثلة في النداء، والإحالة بالضمير على الوعد تسهم في تحقيق معنى الإنكار في الاستفهام، وهو المعنى الذي خرج منه عن حقيقته، فإن كان استفهامًا غير حقيقيّ فإن النداء قد هيأ ذلك بأنه لم يرد به حقيقة النداء، وكذلك الإحالة التي تبدو إحالة للقريب الذي يحال وروده سياقيًا، وهكذا تآزرت البنية اللغوية مع السياقية في تحديد المعنى التداولي للاستفهام.

أبانت الإشاريات الزمنية عن محتوى تلفظي حامل لقيمة دلالية مؤثرة في معنى الاستفهام، وهي إحدى أنواعها الثلاث، حيث تأتي الإشاريات المكانية بتأثيرها على دلالات الاستفهام، فتحضر القيمة المكانية في بنيته اللفظية، نافية بذلك دلالاته الأصلية، ومؤكدة على أهمية المنحى التلفظي والسياقي في بناء المعنى، وهو ما نجده في النص الآتي:

وماذا هناك تحدق في الشمس

نحو الفضاء البعيد؟

لعل ترى من وراء الغيوب
هنالك ما لا نرى؟(١)

حضر المكان في هذه القصيدة منذ بدايتها، فقد كان موضوعها الأول، حيث يتشكل النص حوارياً لتحديد المكان الذي تنتسب إليه إحدى الشخصيات المتحاورة، وهذا البحث اتسم بالكشف عن علاقات المكان بتلك الشخصية حيث يحمل الحوار دلالات تجذر المكان في صفاتها وأفعالها، ومن هنا فإن المكان هو المعنى الذي يشكل النص.

يبحث الاستفهام منذ مطلع القصيدة عن المكان، ويحاول توجيه النص إلى الإبانة عن القيمة المكانية بإضفاء علامات تحديد المكان، فاستهل الشاعر النص باستفهام كاشف عن مراده في تحديد المكان، وهو استفهام يشير إلى معناه الأصلي حيث يكشف السياق عن استيضاح الشاعر لحقيقة المكان الذي يحدد هوية محاوره في النص، لكنه ليس الأمر الوحيد الذي يبحث عنه، فلمعرفة المكان تداعيات أخرى.

ارتبطت دلالة الاستفهام الحقيقية بأخرى يبحث عنها النص، ففي اللحظة التي يريد الشاعر معرفة مكان الشخصية التي يحاورها يحاول إظهار الأثر المعنوي الذي تركه فيها، فللمكان هنا أهمية يجب أن يكشفها النص؛ ليتعرف على جانب من خصائص الشخصية.

جاء الاستفهام السابق بعد عدة استفهامات أفادت معناها الحقيقي إضافة إلى إشاراتها للبحث عما خلف إجاباتها، لذا فإن النص أجاب عن جميع الإجابات المحتملة التي يتوقعها، وهنا يتأكد البحث علاقات المكان بالمعاني التي يقدمها النص، وهي الإشارات المعنوية التي وجدها الشاعر في الشخصية التي يحاورها.

كونت الإشاريات المكانية دلالات هذا الاستفهام رابطة لحظة التلفظ التي يسائل

(١) دغريري، بين الزحام، ص٥٧.

فيها الشاعر تلك الشخصية بمكان آخر، منطلقاً من مكان التقاء الشخصيتين إلى مكان انطلاق الشخصية المحاورة في النص، ليعيدها إلى المكان الذي بدا ظاهر التأثير فيها، وليتعرف على ملامحه في الفضاء المحيط بها حيث تحدق فيه ناظرة إلى صورة تشابه صورة المكان الذي أتت منه.

عملت الإشاريات المكانية على تكثيف الأثر المعنوي للمكان في الاستفهام داخل النص، وهو أثر نشأ منذ اللحظة الأولى لولادة النص، وامتد إلى التأثير في أساليبه التعبيرية، ففي الشاهد السابق يربط الاستفهام مكان التلفظ بمكان سبق ذكره في النص، ليؤكد على علاقته بدلالته السياقية، فالسؤال عن التحديق البعيد، وعن حقيقية الرؤية هو بحث عن المكان، وعن الأثر الذي يريد أن يحصل عليه، وليس سؤالاً عن الرؤية المدركة واقعياً.

تحققت أهمية المكان في هذا الاستفهام عن طريق الإشارات المكانية، محولة بذلك دلالته من المعنى الأصلي إلى المعنى السياقي، حيث أسهمت أسماء الإشارة المكانية في تعزيز المعنى السياقي، فإحالتها المكانية إلى مشار خارج التلفظ فرضت المكان على الاستفهام بما أحال معناه الأصلي إلى معناه السياقي، فربطت المعنى الخارجي الحاصل خارج الاستفهام به، فأصبح بذلك صورة من صور التعبير اللفظي عنه.

أبانت النماذج السابقة عن المعاني الإشارية بأنواعها الثلاث في الاستفهام، وهي كما ظهر متنوعة التأثير مختلفة الدلالة، إلا أنها تجتمع في مدى تأثيرها على انتقاله من معناه الحقيقي إلى السياقي بما يؤكد حضور المنحى التداولي فيه.

المبحث الثاني: المعنى الإنجازي[1] في الاستفهام

يتعلق المعنى الإنجازي بالتفريق الذي قدمه (أوستن) في نظرية أفعال الكلام بين ثلاثة أنواع هي: فعل الكلام، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام، وهي تفرقة ناشئة بين ضروب القصد والدلالة، فإذا كان فعل الكلام يراد به التلفظ وفق صيغة تركيبية معينة، فإن قوة ولازم قوة فعل الكلام هي مقاصد يراد منها القيام بأمر ما، أو التأثير في المخاطب بناء على الأثر الذي تحدثه فيه[2]، وعلى هذا فإن لازم قوة فعل الكلام هو قصد يقع خارج التلفظ بالعبارة، فكل عبارة قد تشير إلى مقصد معين حسب توجيه المتلفظ لها.

يمثل الاستفهام أحد أشكال الأفعال الكلامية إذ يقع تحت أنواع الأساليب الإنشائية التي تتعلق بها النظرية، حيث تتناوله أسلوباً إنشائياً ذا قوة ولازم كلامي، وهنا يحصل التمييز بين نوعين من الاستفهام: ما يطلب به الإجابة الصريحة، وما يطلب به التصور العام[3]، فما يطلب به صريح الإجابة هي نوع من قوة الفعل الكلامي، أما ما يتعلق بتصورات عامة فهي من لوازمه؛ لأن الجواب الصريح هو نوع من طلب إنجاز الفعل، أما التصورات العامة فهي لا تلتزم بنوع معين من الإنجاز، وتتعلق غالباً بالتأثير، وهكذا تحصل قوة ولازم الفعل الكلامي في الاستفهام.

يمكن تتبع معاني الاستفهام الإنجازية في ديوان "بين الزحام" في قصائد متعددة،

(١) يتعلق المعنى الإنجازي بلازم قوة الفعل الكلامي حسب تصنيف أوستين لأصناف الفعل الكلامي.

(٢) انظر: جون. ر سورل، الأعمال اللغوية (بحث في فلسفة اللغة) ترجمة: أميرة غنيم (ط١، تونس، المركز الوطني للترجمة ٢٠١٥م) ص١٣٢.

(٣) انظر: ريبول موشلر، آن جاك، القاموس الموسوعي للتداولية ترجمة: مجموعة باحثين (ط٢، تونس، المركز الوطني للترجمة ٢٠١٠م) ص ٥٤.

فقد زخر بنماذج متنوعة؛ إذ كان هو الأسلوب الأكثر حضوراً، فنجد في النموذج الآتي شاهداً على المعنى الإنجازي:

لا ترمي ورودك للأسى، ما راح راح
لا تحفلي إن جارت الدنيا
بقسوتها، وأثخنت الجراح
من ذا بها لقي الهنا؟
ومن منا بذمتك استراح؟(١)

ورد هذا الشاهد ضمن قصيدة يعبر فيها الشاعر عن مراحل العمر، وعما مضى منها وفات، لذا ظهر الاستفهام في النص بصورة جلية معبراً عن المعاني التداولية أكثر من دلالته الأصلية وإن كانت حاضرة إلا أن المعنى يتجاوزها إلى ما هو أبعد منها.

يتساءل الشاعر في النص السابق عن وجود الهناء والراحة في الدنيا، وهو سؤال جاء في تركيبة الاستفهام الحقيقي حيث جاء بصيغة (مَنْ) الاستفهامية الأصلية، مؤكداً وجود معنى السؤال الحقيقي، فلا يمكن نفي تلك الصيغة لوجود دلالة أخرى، وهنا يأتي السؤال عن أسباب تحول الاستفهام الموجود تركيباً أصلياً إلى معنى آخر؟

تجيب نظرية الأفعال الكلامية عن هذا التساؤل، فالاستفهام هو أحد أشكال العبارات الإنشائية ذات المحتوى الإنجازي، أي أنها تحمل دلالتها وتحيل إلى شيء آخر، فالإحالة هي عمل لغوي "ينجزه المتكلمون من خلال إلقاء الكلمات لا من خلال الكلمات ذاتها" (٢)، وليس بالضرورة أن يكون كل استفهام محيلاً، وما يجعله كذلك من عدمه هو "أن يعيَّن فيها للسامع على نحو غير ملتبس"(٣)، أي بتضافر العوامل

(١) دغريري، بين الزحام، ص٦٢
(٢) سورل، الأعمال اللغوية، ص٥٧
(٣) السابق، ص١٤٥

السياقية والتلفظية التي تؤثر في المخاطب لإحالة الاستفهام على معنى دون الآخر.

تتضافر العوامل السياقية والتلفظية في الاستفهام السابق للإحالة إلى معناه التداولي، فالنص السابق هو من قصيدة ذات بنية حجاجية يحاول فيها الشاعر الخروج من نظرة ضيقة للحياة والتأثير بنظرة أكثر فاعلية، وهذه البنية هي العامل السياقي الأكبر في خروج الاستفهام من قوة الفعل الكلامي إلى لازمه، فجميع دلالات النص تتجه نحو التأثير بنفي التصورات المتعارضة، أو تقرير التصور المراد إحداثه، وهنا يحدث توجيه الدلالات إلى هذا المعنى أياً كان التركيب.

يأتي هذا الاستفهام بعد تقرير المعاني والتصورات السابقة، وبعد عدة استفهامات في القصيدة، وهذا التضافر السياقي للمعنى يفرض خروج الاستفهام إلى غير دلالته الأصلية، وهنا يتشكل السياق الخاص به، فبعد تقرير المعاني التي تؤكد تصور الشاعر لا يتلاءم ورود استفهام حقيقي يطلب جواباً عن معانٍ متحصلة مسبقاً، لذا فإن المعنى المتحصل سياقياً من هذا الاستفهام هو عمل لازم قوته الكلامية الواقعة في التأثير بعدم البحث في الحياة عن معان غير متحققة فيها، وهذا ما يجعلها أكثر فاعلية من التأثير السلبي المتمثل في اليأس أو الحزن.

إضافة إلى العوامل السياقية الآنفة يتأثر الاستفهام بالعوامل التلفظية في إرادة لازم قوته الكلامية، حيث تقع الجملة الاعتراضية (بذمتك) ضمن إشارات المعنى الإنجازي التأثيري، فالطلب الواقع فيها هو تأكيد تلفظي من الشاعر على جواب متحصل مسبقاً، وهذا ما يجعل المعنى الإنجازي مقصوداً، يتأكد بذلك المعنى التداولي دون الدلالة الحقيقية، وهكذا تقع الإحالة اللغوية إلى قصدية الاستفهام لا في معناه.

تعددت المعاني الإنجازية للاستفهام في الديوان مما يؤكد أهمية عرضها والإبانة عن أشكال حضورها، ومن أحد أشكالها ما يظهر في النص الآتي:

يا قاسي القلب

قلبي لست أملكه
فما يزال على عهد الهوى باقي
أيامه الغر شابت
بل ونشوته
ما بين ضيق الرجا ذابت وإخفاقي
إلى متى الناي؟
عاث الشوق في كبدي.(١)

جاء المقطع السابق من قصيدة عاطفية كشف فيها الشاعر عن تجربة عاطفية غير مكتملة، فكان اليأس عنوانها، والتيه طريقها، فلا ظفرٌ بمحبوب، ولا عزاءٌ لفاقد، وهنا يتشكل السياق العام للنص محدداً المعنى الذي ينساق فيه، مؤثراً بذلك في تحويل المعنى إلى لازم قوة الفعل الكلامي المتمثل في الاستفهام.

أبان النص متأثراً بسياقاته عن انعدام الجدوى من الجفاء العاطفي والابتعاد عن الحبيب، وهذا المعنى ظهر بشكل عام في كل سياقات النص، ومن خلال تراكبيه المتنوعة عُبر عنه بأساليب مختلفة، ومنها أسلوب الاستفهام الذي جاء على هذا المعنى.

أسهم المعنى العام للنص في تحديد معنى الاستفهام بوجه خاص، على أن ذلك لا ينفي تفرده بدلالته الخاصة، وإنما هو تحديد للإطار المعنوي العام له، ولذا فإنه يقع تحت هذا الإطار، ويأتي على معناه الذي يؤكد أهميته بوصفه فعلاً كلامياً يقدم معنى إضافياً في النص.

بعد توارد النص على المعنى العام يأتي هذا الاستفهام مبيناً أن خلف ذلك العبث العاطفي بمشاعر المحب أثرا أكبر، وضررا يجب وقفه وقطع طريقه، وهو الأثر الناتج من لازم قوة الاستفهام، فانعدام فائدة ذلك العبث وامتداد التجافي يولد ضياع العمر، وهدر

(١) دغريري، بين الزحام، ص٧٥– ٧٦.

السنيين، وهذا ما يشير إليه لازم قوة الفعل الكلامي، فالجواب المتبادر إلى الذهن من السؤال يوجه المتلقي مباشرة إلى هذا المعنى، وهكذا يقدم الاستفهام معناه الخاص داخل السياق العام في النص.

ومما يعزز لازم قوة الاستفهام إضافة إلى سياقه هو جوابه المتحصل مسبقاً، فالقارئ عندما يصل إلى لحظة الاستفهام كان جوابه متحصلاً، بما يؤكد لازم قوة الفعل الكلامي، فلا معنى لهذا الاستفهام إذا تجرد من ذلك، ولا مكان لقوته الطلبية؛ لأنها لا تؤدي معنى جديداً في النص، وبهذا يتأكد المعنى الإنجازي في هذا الاستفهام.

يظهر في هذا المقطع الإيقاع الصوتي الواقع في المد الذي أسهم في تعزيز الجانب النفسي في المعنى، وهو الجانب المؤثر في خروج الاستفهام عن معناه، فإن كان الشاعر يؤكد في النص على الجانب النفسي فإن الاستفهام عن تحديد زمن النأي ليس المراد، وإنما التأكيد على الأثر النفسي هو المعنى التداولي المقصود، حيث تبدو مهارة الشاعر في شحذ البنية الإيقاعية للكشف عن معانيه خارج الألفاظ.

وفي سياق آخر يكشف الاستفهام عن معناه الإنجازي من خلال لازم قوته الكلامية حيث تنتفي القيمة المعنوية للفعل الكلامي؛ لأنها لا تتساوق مع النص، وهو ما يكشف عنه المقطع الآتي:

لولا هواك
لما على شعري
بقايا من صفاء
يا فتنة المغبون
من قساك؟ علمك الجفاء؟
من صاغ تلك الروح
من صلفٍ

وكانت من حياء؟[١]

يتعجب الشاعر في القصيدة من تحول المحبوب من الصفاء والقرب إلى الجفاء والبعد، وهو تحول مؤذٍ وغير مرغوب فيه، وما أثار انزعاج المحب أنه غير مبرر، وبدا له بأنه تحول مرغوب فيه، لذا يحاول في النص استنطاق حال محبوبه سعياً للوصول إلى حقيقة ما أثار دوافعه نحو تصرفه تجاه محبه.

يمكن وصف سعي الشاعر في البحث عن الحقيقة الغائبة بأنه بحث عن المجهول؛ لأن وجود سبب ظاهر لا يدعو إلى البحث، وبما أنه كذلك فإن انعدام السبب هو المثير الأبرز في النص، وعليه فإن العدم هو السياق الذي يضمه، وهو التساؤل الذي يحاول الشاعر الإجابة عنه.

يأتي الاستفهام في هذا المقطع في سياق القصيدة العام، وهو سؤال يبحث عن المجهول، ويتوقف عند العدم، فاللحظة التي يتساءل فيها الشاعر عن مصدر قساوة المحبوب فإنه يقرر جهله بذلك المصدر، كما أنه يؤكد انعدامه في الوقت ذاته، وهو بذلك يخرج من قوة الفعل الكلامي إلى لازمه، فلا حاجة له بالمعرفة التي سيتحصل عليها من قوة الفعل الكلامي المتمثلة في الطلب؛ لأنها لن تحل أزمته هذه، كما أنها ليست قضيته التي يريد حلها، لذا فإن لازم قوة الفعل الكلامي المتحصل في معنى الإنكار والاستغراب هو المعنى الذي يقدم في النص حالة شعورية جديدة.

إن استغراب الشاعر وإنكاره الواقعين في لازم قوة الفعل الكلامي هما المعنيان التداوليان الأكثر ملاءمة في النص، وهما الإضافة التي تمنحه عمقه العاطفي؛ إذ إنهما تظهران مدى القساوة التي يمارسها المحبوب على محبه دون سبب، إضافة إلى الإيقاع السريع للألفاظ والتراكيب التي توحي بلهفة الشاعر للحصول على جواب لسؤاله المجهول، وهكذا تتمثل لازم قوة الفعل الكلامي في حمل المحب على التوقف عن تلك

(١) دغريري، بين الزحام، ص٥٤

الممارسة الظالمة على محبوبه؛ لأنها غير منطقية.

كانت النماذج السابقة صوراً لحضور المعاني التداولية في الاستفهام من خلال المعاني الإنجازية الواقعة في لازم قوة الفعل الكلامي، وبما أنه أحد أشكال الأفعال الكلامية فقد حضر المعنى الإنجازي فيه بشكل مبرز وهو ما سبق الإبانة عنه بدلالاته المختلفة، مما يؤكد أثر الاستفهام في بناء المعنى التداولي.

المبحث الثالث: الاستلزام الحواري[١] في الاستفهام.

يتأثر الاستفهام بمبادئ الاستلزام الحواري، فقد سبقت الإشارة أنه من أكثر التراكيب اللغوية التي تباين دلالتها الوضعية، وهو ما يجعله متأثراً بالقوانين السياقية، وهذا ما يتحقق في مستوى العلاقة بين المتكلم والمخاطب بما يحكمهما من معارف متبادلة.

يتعلق الاستلزام الحواري بالدلالة غير الطبيعية، وهي المتعلقة بالدلالة غير الوضعية للألفاظ[٢]، مما يجعل الوقوف على المعنى أمراً غير ممكن دون النظر إلى السياق العام، وظروف المتخاطبين، وعلى هذا ينبغي عند دراسة الأثر المتعلق بها الأخذ بما يريد المتحدث تحقيقه مع المخاطب لا بما يقوله، وهذا ما يقع في تراكيب لغوية غير محددة.

يقع الاستفهام داخل إطار المعاني غير الطبيعية المتشكلة في مبادئ الاستلزام الحواري، وهي المعاني المستلزمة من مقاصد المتكلمين وسياق التخاطب، ويقع هذا في أسلوب الاستفهام بشكل مستمر، حيث يمكن الوقوف على دلالات متنوعة واقعة تحت تأثير الاستلزام الحواري في ديوان "بين الزحام"، ومن بين تلك الدلالات ما يبدو في المقطع الآتي:

يا عز نفسك!
كم قاسيت من علل
وكم كتمت
ولا تشكو له عِللك.[٣]

(١) يشير مفهوم الاستلزام الحواري إلى المسالك الخطابية التي يسلكها المتلفظ وتعين المخاطب في تحديد مقاصده. انظر: ريمة كعبش "الاستلزام الحواري المبادئ والمفهوم".، *مجلة الخليل في علوم اللسان*، جامعة ٢٠أوت سكيكدة، الجزائر (م١)، ع١، (٢٠٢١م) (٦٠ – ٧٠)

(٢) انظر: موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٢٦٨.

(٣) دغريري، بين الزحام، ص١٣.

يحاور الشاعر الذات المحبة في هذه القصيدة مبيناً أنها لم تجد سوى اليأس والخذلان، وهو بذلك يقيم قاعدة تخاطبية بين ذاتين: ذات خارجية متمثلة في الشاعر، وذات واقعة في الحب لا تبرح مشاعر الألم، وقد كانت وظيفة الذات الخارجية تأكيد المعاني المشوهة لصورة الحب، وهي دلالات مدركة بين الذاتين.

كون الاستفهام بناءً على الدلالات المدركة معاني يستلزمها الإدراك المتبادل بين الذاتين المتخاطبتين في النص، وهو ما يفهمه القارئ من سياق الحوار بينهما، حيث يشير إلى أن الشاعر ناظر بعين جلية إلى الحال الواقع فيها المحب، وإلى المشاعر التي أورثه مستوى متدنٍ من العيش والاستمتاع بالحياة، وهذا ما يحول الاستفهام السابق جوابه المتحقق في تلك المعاني، فإن كان الشاعر يسأل عن حجم المعاناة فإنه لا يريد معرفة وقوعها من عدمه، وإنما المراد هو التأكيد على وقوعها، والتي بها ينهى ذات المحب عن الاستمرار في هذه المشاعر القاتلة؛ لأنه يدرك تماماً نتائج ذلك الاستمرار، وهنا يتأكد تشارك المتخاطبين قدراً كافياً من المعلومات التي تجعلهما قادرين على صياغة خطابهما الخاص.

تنص مبادئ الاستلزام الحواري على أهمية مبدأ التعاون الذي ينص على "أنه من المفروض أن يكون كل مشارك في المحادثة متعاوناً في عملية التبادل القولي"[(١)] ويتشكل هذا المبدأ في قواعد متعددة هي: قاعدة الكم، وقاعدة الكيف، وقاعدة العلاقة، وقاعدة النوع[(٢)]، ومن هذه القواعد يمكن الحكم بالمعنى بمؤازرة مبادئ الاستلزام الحواري.

يمكن استظهار إحدى هذه القواعد للإبانة عن شكل من أشكال الاستلزام

(١) القاموس موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٢٦٦.

(٢) السابق، نفسه.

الحواري في الخطاب، وبالنظر في المقطع السابق من خلال قاعدة العلاقة[١] يمكن التحقق من مناسبة إسهام المتكلم بالاستفهام في مطابقة الهدف المرجو من الكلام مع تحققه، وهذا ما أشار إليه غرايس في مسلمة الملاءمة[٢] فإذا اتضح أن المتحدث يريد إظهار المعاني المشوهة للحب ومنها إلى توقف المحب عن نزف الآمه فإن إسهامه بالاستفهام هي ملاءمة لتحقيق الهدف.

يقدم الاستفهام تقرير المعاني بطريقة تقابلية، حيث يكشف عن المعنى ومقابله من خلال السياق وذلك في حال كشف تلك المعاني مسبقاً، وهذا ما وقع في المقطع السابق، فالسؤال عن حال المحب مع الحب يقع بين حالين: أحدهما هو المعنى المتقرر مسبقاً الذي يؤكده السياق، والذي ينفي الحال الأخرى المتمثلة في معنى السؤال حقيقة، وعلى هذا فإن إسهام المتحدث في توقف المخاطب عن الإسراف في مشاعره بالاستفهام هو إسهام ملائم من حيث التأكيد على أن المعنى المقصود هو المعنى الصحيح الذي ينبغي الاعتبار به؛ لأنه يؤكد خطأ المعنى المقابل، فهو الأنسب مع الهدف الذي يرسمه المتحدث؛ لأن هدفه هو تقرير أحد معنيين واقعين في الاستفهام يتعارض وقوعهما معاً، ويتحقق في أحدهما معنى مخالف للآخر، وهذا ما يحققه المعنى التداولي بمراعاة مبدأ التعاون وفق مسلمة الملاءمة.

تؤكد مسلمات مبدأ التعاون على مراعاة المتكلم للمعاني السياقية والتي تؤكد على أهمية المعاني التداولية التي يقصدها، فكلما أظهر مراعاته لتلك المسلمات أبان عن مقاصده غير اللفظية، وهو ما يجعل تلمس أشكال تلك المراعاة من المعاني التداولية التي يسعى إليها بالالتزام بالمبادئ التي تعينه على مقاصده، وإن ظهر ذلك في مسلمة العلاقة

(١) تنص قاعدة العلاقة على أن يعمل المتكلم على أن تكون مساهمته مناسبة. السابق، الصفحة نفسها.

(٢) انظر: كعبش، "الاستلزام الحواري المبادئ والمفهوم"، (٦٠-٧٠)

فإنه يمكن تعزيز ذلك الحضور في مسلمة الكيف[1]، إذ تؤكد على قصدية المتكلم لمعانيه التي يشكلها من خلال السياق لا من ألفاظه، وهو ما يظهر في المقطع الآتي:

أمن خطأٍ خصامك؟

ما أمرَّ إذا مخاصمك الحبيب!

فهب أن الخطا مني

ولم تصفح

فمن منا المصيب؟[2]

يرفض النص السابق إيراد المخاطب على تخطئة المتكلم في التعامل مع أخطائه محاولاً إثبات الصورة الصحيحة للتعامل معه، وهذا يتطلب منه إيراد مقاصده بشكل واضح مع تجنب الغموض واللبس، فمن شأنه الوصول إلى قضية صدقية يجب أن يوصل المخاطب إليها دون ملابسة أو تضليل.

يظهر مراعاة المتلفظ لمبدأ الكيف في عرض الحقائق التي تجنبه الوقوع في الخطأ، حيث يبدو عرضه للموضوع منذ الوهلة الأولى فيبدأ بالاستفهام عن الخصام بين المتكلم والمخاطب هل خطأ أم صواب، وحقيقة هذا التساؤل التسلسل المنطقي للقضية في صورتها الأولى، من أجل عرضها عرضاً تتجلى معه دون ملابسة، وما يؤكد محاولته في عرضها عرضاً واضحاً تقصي الصورة الكاملة لها في قوله: هب أن الخطأ مني، فهي إشارة من نظرة أخرى إلى الوجه الآخر لها، لتأمين جوانب اللبس في المعنى المراد.

يختم المقطع السابق بالاستفهام المؤكد لمعنى أهمية الصفح أكثر من الخصام، فليس المراد إقرار الطرف الآخر بالخطأ وإنما هو الأخذ بالعفو، وهذا المعنى المراد

(١) يقصد بمسلمة الكيف: إسهام المتكلم في المحادثة بطريقة منظمة وأن يتجنب اللبس والإبهام والغموض. موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٢٦٦.

(٢) دغريري، بين الزحام، ص٩١

يتأكد بعد استيفاء مظاهر اكتمال تصوره، وبهذا يكون مبدأ الكيف وسيلة المتكلم في تحقيق ذلك المقصد بأن أمَّنَ جميع الملابسات التي قد تخل بذلك، مما يستلزم وضوح المعنى وتحقيق المقاصد.

تسهم مبادئ الاستلزام الحواري في تحقيق مقاصد المتكلم بمراعاة حال المتخاطبين لئلا يتشعب المعنى باعتبارات متعددة، حيث تؤكد أن كلاً من المتكلم والمخاطب عليه أن يلتزم بقدر معين من الالتزامات التي تعينه على تأدية مراده، أو فهم ما يقال له(١) فإن أبان مبدأ التعاون من خلال مسلماته الأربع عن جانب من الالتزامات فلا يتوقف الأمر على ذلك، فهناك من المبادئ مالا يقل أهمية عنه، وهو مبدأ التأدب(٢).

يتشكل مبدأ التأدب في مجموعة من القواعد والمسلمات حيث بدأت عند لاكوف باعتبار العوامل الاجتماعية بين المتحاورين، والتلطف في الحوار، واضعة ذلك في مبدأين هما: الوضوح، والتأدب، ثم جاء بعد ذلك براون ولفنس بمفهوم الوجه ويقع في نوعين: سلبي وإيجابي، يتعلق الأول بالخصوصية الذاتية، والثاني بالصورة الخارجية التي يبينها الشخص في محيطه الخارجي، ثم ليتش الذي ذهب إلى مبدأ اللياقة وأهميته في تحقيق الربح وتقليل الخسارة(٣).

يظهر مبدأ التأدب في أسلوب الاستفهام بشكل بارز، وذلك لتعدد معانيه خارج

(١) انظر: موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٢١٤.

(٢) يشير مفهوم التأدب إلى مراعاة العوامل الشخصية الواقعة خارج الخطاب والتي تبنى على قاعدة تقليل الجهد وزيادة الفائدة، حيث تسهم في تحقيق الهدف من الخطاب بإظهار جوانب الملاطفة والتودد للوصول إليه بسرع طريقة. انظر: ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص١٠٧ – ١١٤.

(٣) السابق، ص١٠٧، فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان ترجمة: صابر الحباشة (ط١ سوريا، دار الحوار ٢٠٠٧م)، ص٨٩، جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتابي (ط١، لبنان، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م) ص٩٧، ليتش، مبادئ التداولية، ص١٤٣.

دلالته الأصلية، ولأنه أحد أشكال الأفعال الكلامية التي يطلب بها إنجاز فعل، أو التأثير من خلاله، وهذا ما يمكن استظهاره في عديد من المواطن في ديوان "بين الزحام"، ومنها قوله:

صوفية الكلمات
ماذا السحر
يهمي من سماك؟
هل هذه الأضواء حولي
من حروفك؟ أم ضياك؟
لكأنما امتزجت بروح من تقى
بل من ملاك.(١)

يشير مبدأ اللياقة إلى حسن الأدب والتخلق، وتتعلق بأفعال الكلام من صنف الإباحة كما صنفها سيرل، ويهتم بتحقيق أقصى درجات المعنى عن طريق الأسلوب غير المباشر للفعل الكلامي، حيث يجد المخاطب نفسه أمام خيارات متنوعة يشعر فيها بأنه غير ملزم بصورة أمرية للقيام بعمل محدد، وهذا ما يجعل تعاونه مع المتكلم أكثر فاعلية(٢).

تحقق مبدأ اللياقة في المقطع السابق بدرجة عالية، فالمتكلم لا يريد تحديد زاوية الإعجاب بالمخاطب، وإنما يريد ذكرها كلها، كما لا يسعى إلى تفضيل إحداها على الأخرى، فمن شأن ذلك حصر جماله في جزء معين وهذا ما يمكن أن يؤدي إلى الإخلال بأهم أهداف النص وهي إظهار الإعجاب غير المتناهي الذي يقوي ثقة المخاطب، وقد أسهم ضمير المخاطب (ك) في ذلك بالتأكيد على حضور صورة

(١) دغريري، بين الزحام، ص٢٤.
(٢) انظر: ليتش، مبادئ التداولية، ص١٤٣.

الآخر في كل لفظة، وهو حضور موسيقي، ودلالي، حيث يشعر القارئ بتكرار الكاف موسيقيا بما يجعله يتناغم مع تكرار المخاطب ذاته دلالياً دون الإحساس بثقل إيراد ذكره.

تظهر الدلالات السابقة في المقطع السابق عن طريق الاستفهام، ففي اللحظة التي أراد الشاعر ذكر خصال الجمال السحري الذي لم يستطع مقاومته لم يحصر ذلك في معنى واحد، بالرغم من أن المعنى يمكن أن يؤدي بذلك، إلا أنه وفق قاعدة اللياقة، ووفق مبدأ التأدب أراد أن يبين أن ذلك أمر غير محصور، وأن ذلك الجمال ليس محدد المعالم والأركان، وهذا ما يحقق أقصى درجات الربح لدى المخاطب بلفت انتباهه إلى إدراك الشاعر لعناصر جماله المتعددة.

إن الصورة غير المتناهية التي رسمها الشاعر لا تقف عند حدود معينة، فبين صوفية الكلمات، والسحر، والسماء والضياء، وروح التقى، كل ذلك يجعل السؤال أكثر حيرة في الإجابة عنه، وهذا ما يريده الشاعر، فالجواب تائه أكثر من السؤال، فإن كانت الصورة تتجاوز الحدود فإن الاستفهام لا يبحث عن حقيقة معينة، وإنما تأكيد عن دلالات الصورة.

بهذا يكشف مبدأ اللياقة والتأدب عن تحقيق أقصى درجات المعنى، ويمثل الاستفهام أحد الأشكال اللغوية التي يتحقق فيها ذلك؛ إذ يتيح للمتكلم وضع جميع خياراته التي تكشف للمخاطب لطفه وحسن لياقته اللغوية التي تجعله أكثر استجابة وتعاوناً معه.

المبحث الرابع: المعنى الحجاجي[1] في الاستفهام

أثار مبحث الحجاج كثيراً من الدراسات اللغوية التي اهتمت بالأثر الإبلاغي والإقناعي في مختلف أشكال الخطابات، ويأتي الاهتمام به ضمن مباحث التداولية؛ لأنه لا يبحث القضايا من حيث صدقها، وإنما يهتم بالمسالك التي يتخذها المتلفظ بناءً على حال مخاطبه، ونوع التأثير فيه، ومن هنا فإنه يتعلق بقضايا سياقية تتأثر بعوامل التلقي، كما أنه يتقاطع مع الأفعال الكلامية من حيث التأثير بلازم المعنى لا المعنى نفسه[2].

يتخذ الحجاج مراتب ومسالك مختلفة منها: البرهاني، الخطابي، الجدلي[3]، وهي مسالك تتأثر بطبيعة الخطاب، والهدف منه، وحال المخاطب، وتتشكل في أشكال تعبيرية متنوعة: أمرية، وتوجيهية، وإثباتية، واستفهامية[4]، ويظهر هنا الأثر التداولي لأفعال الكلام في تحقيق المسالك الحجاجية.

مثل الاستفهام أحد أهم أشكال التعبير الحجاجي، فكما سبقت الإشارة إلى أنه أكثر الأساليب التعبيرية التي تخرج عن معانيها الأصلية، فإن المقصد الحجاجي هو أحد تلكم المعاني التي تحضر فيه، ويتحقق به في أساليب متعددة بدءاً من الحجج المنطقية،

(١) الحجاج هو: درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم. عبدالله صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) (ط١، تونس، دار مسكلياني ٢٠١١م) ص١٣.

(٢) انظر: روقاب هني، جميلة محمد حاج "التداخل المعرفي بين التداولية والحجاج (حدود التقارب ومجالات التفاعل)". *مجلة أمارات، كلية الآداب والفنون*، جامعة حسينه بن بوعلي، م٢، (ع٢) الجزائر، (٢٠١٨م) (١٠١ – ١١٢)

(٣) انظر: صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) ص١٩.

(٤) انظر: السابق، ص٣٨

ثم شبه المنطقية، إلى الحجج المبنية على الواقع.

انطوى الاستفهام في ديوان "بين الزحام" على مقاصد حجاجية بطرائق مختلفة، وهو ما يمكن الإبانة عنه في المقطع الآتي:

وكم عزلت
خيوط الليل
ضقت به
حتى الظلام
على أوهامه غزلك
عطشى لياليك
ماذا في قواحلها؟(١)

يأتي هذا المقطع في نص بعنوان (صحوة الحب) ومنذ اللحظة الأولى يحاول الشاعر التأثير في المتلقي بتغير تصوراته ثم تغيير حالة البؤس الواقع فيها، لذا يظهر البناء الحجاجي في أولى لحظاته إلى آخرها.

كان الأسلوب الاستفهامي أحد التعبيرات الحجاجية في هذا النص، وهو ما يكشف عنه المقطع السابق في آخره، فيشير الاستفهام إلى لفت انتباه المخاطب إلى النتائج السلبية التي أوقعه فيها الحب، لذا فإن عليه إدراك ذلك، والتوقف عنه، والتحول إلى الحالة الإيجابية الأكثر تجاوباً مع الحياة الهناء.

وظف النص الاستفهام لغرض حجاجي بعرض الوقائع التي يدرك حقيقتها المخاطب فلا مجال لإنكارها، وتظهر في التأكيد الكمي على الليالي التي أثقلها الحب عليه، وفي انعكاسها السلبي على أفعاله وتصرفاته، لذا فمن المهم عرض هذه الحقائق قبل تقرير الحكم بناء عليها، والمحاجَّة بنتائجها المؤكدة.

(١) دغريري، بين الزحام، ص١٦– ١٧.

يسعى هذا الحجاج للفصل بين مفهومين (الواقع/الحقيقة) لبيان التناقض بينها، وإيقاظ الذهن مما يظنه صحيحاً، وبناء قاعدة صحيحة للمفاهيم(١)، حيث قدم أولاً الحد الواقعي المتمثل في الممارسات التي تشكل واقع المخاطب، وهو ما يسعى المتكلم إلى كشف حدوده المضللة، ومن ثم الإبانة عن الحد الثاني المقيم للقاعدة الصحيحة التي يمكن بها التمييز بين القيم الحقيقية والوهمية؛ لإقناع المخاطب بالانفصال عن الواقع الموشوم.

أقام الاستفهام في المقطع السابق الحد الثاني والمقابل للقيم السلبية التي كشفها النص، فأبان للمخاطب عن الحدين في آن واحد، فإذا كان الجواب المباشر يشير إلى النفي بما يؤكد عدم جدوى واقع المخاطب، فإن المقصد السياقي يشير إلى جدوى المعنى الآخر الذي يقع في التخلص من الواقع السلبي بإثبات الحقيقة، وهكذا تقع المحاجَّة بالانفصال عن طريق إقامة المعنى ومقابله لإثبات الأنفع فيهما، وهو ما تم في الاستفهام، وبه حصل المعنى التداولي الحجاجي فيه.

يؤكد الاستفهام في الديوان على المعاني غير الاستفهامية أكثر، فغالباً ما يتحصل الجواب قبل إيراد السؤال، وهذا ما يجعل حمل المخاطب إلى الإقرار بفحواه أمراً مستتبَعَاً لما هو ناتج عن ذلك الإقرار، مما يلزم المخاطب القيام به، لذا فإن أهميته تستوجب بيان أشكال هذا الحضور، حيث يكشف النص الآتي عن جانب من ذلك:

فوق هذي الأرض
من صحرائها
أمة ثارت، ومجد وثبا
والعلا قامت
على كثبانها

(١) انظر: صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) ص٦٢.

والندى حل عليها وأبى
يا لأرض
حملت روح النبي
هل كهذا المجد مجد وهبا؟[١]

يؤكد النص السابق على قيمة الأرض التي يسكنها الشاعر، ويتغنى بأمجاد ساكنيها، ساعياً إلى بيان خصوصيتها، شاحذاً دلالات النص إلى ذلك، وعندما يؤكد عليه يأتي بالدليل القاطع بأنها الأرض التي حملت روح النبي ﷺ، وهذا أمر لا ينازع فيه، فمن خصوصية هذه الأرض بعثته عليه السلام فيها.

لا يقدم الاستفهام بمعناه الأصلي إضافة جديدة للنص، فما قد أبانه عنه مسبقاً لا يدع مجالاً للسؤال، وهنا يأتي المعنى الحجاجي في حمل المخاطب على الإقرار بصحة الادعاء، فلا مجد لأرض أكثر من مجد النبوّة، وإن تأكد ذلك فإنه لا مجال أمام المخاطب سوى التأكيد على مجد هذه الأرض الذي تكوَّن من عدة جوانب.

إن طريق هذا الحجاج هو الاتصال القائم على الحجج شبه المنطقية، وهي حجج قائمة على تأسيس الأحكام التي يدعيها المتكلم بربطها بأحكام مسلم بها[٢]، فجميع الأحكام التي قدمها الشاعر هي من نوع شبه المنطقية، فالمجد المرتبط بالأرض هو ادعاء قد لا يثبت أمام الادعاءات المشابهة، لكن حملها للنبوّة هو الحكم المسلم به الذي يؤسس لإثبات ذلك، وهذا المعنى الحجاجي تآزر بالاستفهام الذي أقام حجاجية أقوى في تأكيد الجواب المسلم به مسبقاً، وذلك بأن حمل المخاطب عليه حمل إذعان وتسليم، وإنهاء الجدل المتوقع، فكان حجاجاً بلاغياً داعماً للإثبات بقطع جميع الاحتمالات الجدلية، وهنا تبرز أهمية الاستفهام حجاجياً.

(١) دغريري، بين الزحام، ص٣٤
(٢) انظر: صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) ص٤٩

أثارت اللغة التي ورد فيها الاستفهام الصورة الكاملة لمعنى ارتباط الإنسان بالأرض، فحروف الجر، والظروف المكانية شكلت التصور التفصيلي لقيمة الأرض والانتماء لها، وهو ما عزز خروج الاستفهام عن حقيقته، فإن كانت كل تلك الصورة مدركة فإن السؤال عن وجود الأهمية أمر غير وارد.

وفي صورة أخرى لتوظيف الاستفهام حجاجياً يبدو الحجاج الانفصالي واحداً من الطرائق الموظفة في الديوان، وتبيان ذلك في المقطع الآتي:

وعمَّا حين
وافاها، رآها
تلف بثوبها جسداً نحيلا
فهامسها
ألا زمن كريم
يعود
فنشتكي زمناً بخيلا
فقالت وهي تعتصر المآسي:
كفى ألماً
أتطلب مستحيلا؟(١)

يحكي هذا النص حوار الماضي والحاضر ويقارن بين واقعين: مرغوب، ومرفوض، من خلال إقامة الجوانب السلبية للحاضر، ساعياً إلى إقامة التواصل مع الماضي المرغوب فيه، لكن هذا السعي هو طلب للمحال؛ لأنه لا يمكن العودة إليه، فالزمن لا يرجع.

إن مساعي المتلفظ في النص هي من النوع الحجاجي؛ إذ يحاول التأثير بتغير حال مخاطبه إلى الحال السابقة، إلا أنه لم ينجح في ذلك، فالمخاطب يعي تماماً الحقيقة أكثر

(١) دغريري، بين الزحام، ص٣٠– ٣١.

منه، لذا فشل التأثير فيه، بالتأكيد على أن محاولة الاتصال تلك محاولة غير صحيحة، وعلى المتلفظ التوقف عن طلبها.

يقطع المتكلم حجاجية الاتصال ببناء الحجاج الانفصالي ذي التأثير الأقوى بربط سلبية الاتصال من جانبين: الألم، والاستحالة، وهما ما يجعل الانفصال هو الأجدى والأنفع، حيث حمل الاستفهامُ على التيقن من واقعية الانفصال، والتنبيه على اتباع المسار الأنفع؛ إذ إن دلالة التقرير الواقعة في الاستفهام قطعت مساعي الاتصال بشكل صارم، لتؤكد على الانفصال.

ومما سبق يؤكد الاستفهام على تبني المعنى الحجاجي ذي المنحى التداولي، وهو المرتبط بسياقات الكلام، وحال المخاطب، حيث يعد وسيلة ذات تأثير بارز، مما يجعل المتلفظ يسلك أسلوب الاستفهام بشكل بارز في حجاجه، فهو يسائل المخاطب من خلال حاله ليؤثر فيه بواقعه بما لا يسع له فرصة التفكير والمجادلة.

النتائج

شكل الاستفهام في الديوان أسلوباً تعبيرياً لمعانٍ متعددة بما يمكن القول معه إنه الأسلوب الأقرب للشاعر، والأجدر للتعبير عن معانيه.

حصر الباحث ما يزيد عن ثلاثة ومئة (١٠٣) استفهام في الديوان، وهو إشارة إلى الكفاءة التعبيرية التي وجدها الشاعر فيه، فقد أغنى دلالاته في مواقف متعددة.

إن جميع المواطن الاستفهامية المشار إليها آنفاً لم يقصد بها دلالة الاستفهام حقيقة وإن كانت متحصلة فإنه غالباً ما يتبنى الشاعر معنى تداولياً ناتجاً عن جواب الاستفهام.

كانت المعاني التداولية المشار إليها في البحث جزءاً من أشكال خروج الاستفهام إلى بعض المعاني التداولية، فقد ظهر في مواطن أخرى معانٍ مختلفة في مثل الملاءمة التداولية التي تشير إلى تحقيق نتائج أكثر دقة بتوجيه المخاطب نحو المقاصد السياقية المطلوبة.

وقع المعنى الإشاري في الاستفهام عن طريق الإشارات الزمنية والمكانية بربط لحظة التلفظ بزمن أو مكان الحدث، وهو ما يجعله ذا معنى بارتباطه بزمن أو مكان معين، مما يؤكد انتفاءه بانتفائهما.

أبان الاستفهام عن لازم قوته الكلامية بصورة صارمة في الديوان، فإن كان جميع الاستفهامات تؤدي معانيها خارج دلالتها الأصلية فإن ذلك يحصل بلازم قوته الكلامية، بما يؤكد قوته الأسلوبية في التعبير عن أشكال متعددة من المعاني.

أدى الاستفهام مبادئ الاستلزام الحواري في أفضل صورها وفق مبدأ اللباقة وحسن الأدب، فقد برز حسن تلطف المتلفظ عن طريقه في جذب المخاطب لإيصال

فحواه دون ممارسة سلطوية أو تضليل.

أثر الاستفهام في المعنى الحجاجي تأثيراً قاطعاً، فقد أبان الحجاج بالاستفهام قطع الاحتمالات التي يمكن تواردها إلى ذهن المخاطب مما يجعل التأثير فيه سواءً إيجاباً أم سلباً بالغاً، وقاطعاً للحجة أمامه.

المراجع

أوستين، نظرية الأفعال الكلامية (كيف ننجز الأشياء بالكلام) ترجمة: عبدا لقادر قنيني (د/ط، المغرب، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩١م).

بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة (ط١، سوريا، دار الحوار، ٢٠٠٧م).

ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها (ط١، الأردن، دار كنوز المعرفة) ٢٠١٦م).

دغريري، علي رديش "بين الزحام" (ديوان شعر) ط١، السعودية نادي جازان الأدبي، ١٤٤٠هـ).

السلمي، بندر "الإشاريات الأنواع المفهوم"، *حولية كلية اللغة العربية بجرجا*، م٢٢، ع١٣ (١٣٦٧٥- ١٣٧٠٧) (٢٠٢١م).

سورل، جون.ر الأعمال اللغوية (بحث في فلسفة اللغة)، ترجمة: أميرة غنيم (ط١، تونس، المركز الوطني للترجمة ٢٠١٥م).

صهلولي، صالحة شعر علي رديش دغريري دراسة أسلوبية (ط١، السعودية نادي جازان الأدبي، ١٤٤٤هـ)

صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) (ط١، المغرب، دار مسكلياني، ٢٠١١م).

كعبش، ريمة، "الاستلزام الحواري المبادئ والمفهوم" *مجلة الخليل في علوم اللسان*، م١، ع١ (٦٠- ٧٠) (٢٠٢١م).

ليتش، جيوفري مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني (ط١، المغرب، دار إفريقيا الشرق، ٢٠١٣م).

موشلر، ريبول، جاك، آن، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة باحثين (ط٢، تونس، المركز الوطني للترجمة، ٢٠١٠م)

هني، روقاب، محمد حاج، جميلة "التداخل المعرفي بين التداولية والحجاج (حدود التقارب ومجالات التفاعل)". *مجلة أمارات*، كلية الآداب والفنون، جامعة حسينه بن بوعلي، م٢، (ع٢) (١٠١- ١١٢) (٢٠١٨م).

الودرني، أحمد نظرية المعنى (ط١، تونس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٧م).

يول، جورج التداولية، ترجمة: قصي العتابي (ط١، لبنان، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م).

Bibliography

Austin, J. L., "How to Do Things with Words", trans. Abdelkader Qannini, (Morocco: Dar Afriqiya al-Sharq, 1991).

Blanchet, Philippe, "Pragmatics from Austin to Goffman", trans. Saber Al-Habbasha, (Syria: Dar Al-Hiwar, 2007).

Khitam, Jawad, "Pragmatics: Its Origins and Directions", (in Arabic). (Jordan: Dar Kunuz Al-Ma'rifa, 2016).

Daghreeri, Ali Radish, "Bayna al-Ziham (Poetry Collection)", (in Arabic). (Saudi Arabia: Jazan Literary Club, 1440 AH).

Al-Sulami, Bandar, "Deixis: Types and Concept", (in Arabic). *Annals of the Faculty of Arabic Language in Girga***,** vol.22, issue 13, (pp. 13675–13707), (2021).

Searle, John R., "Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language", trans. Amira Ghanem, (Tunisia: National Center for Translation, 2015).

Sahlouli, Salha, "The Poetry of Ali Radish Daghreeri: A Stylistic Study", (in Arabic). (Saudi Arabia: Jazan Literary Club, 1444 AH).

Sula, Abdullah, "On Argumentation Theory (Studies and Applications)", (in Arabic). (Morocco: Maskiliani Publishing, 2011).

Kaabash, Rima, "Conversational Implicature: Principles and Concept", (in Arabic). *Al-Khalil Journal of Linguistic Sciences*, vol.1, issue 1, (pp. 60–70), (2021).

Leech, Geoffrey, "Principles of Pragmatics", trans. Abdelkader Qannini, (Morocco: Dar Afriqiya al-Sharq, 2013).

Moeschler, Jacques, and Anne Reboul, "The Encyclopedic Dictionary of Pragmatics", trans. Collective of Researchers, (Tunisia: National Center for Translation, 2010).

Henni, Rouqab, Mohammed Haj, and Jamila, "Cognitive Overlap Between Pragmatics and Argumentation: Limits of Convergence and Fields of Interaction", *Emarat Journal*, Faculty of Arts and Letters, Hassiba Ben Bouali University, vol.2, issue 2, (pp. 101–112), (2018).

Al-Wadhrani, Ahmed, "The Theory of Meaning", (in Arabic). (Tunisia: University Publishing Center, 2007).

Yule, George, "Pragmatics", trans. Qusay Al-Atabi, (Lebanon: Arab Scientific Publishers, 2010).


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨
١٩٦

THE ISLAMIC UNIVERSITY JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE PART 1

THE ISLAMIC UNIVERSITY JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

Part 1

Issue: 19
January - March 2026